أشعيا ٥: ١-٧

بيبليا حزيران ٢٠٠٥-٠٦-٠١

الأخت باسمة الخوري الأنطونية

النـص (أش ٥: ١–٧)

١أ لأنشِدَنَّ لِحَبيبي

نَشيدَ مَحْبوبي لِكَرمِه

أ ١ب كانَ لِحَبيبي كَرْمٌ في رابِيَةٍ خَصيبة

ب ٢ وقد قَلَّبَه وحَصَّاه

وغَرَسَ فيه أَفضَلَ كَرمِه

وبَنى بُرجاً في وَسَطِه

وحَفرَ فيه مَعصَرَةً

ج ٢ب وانتَظَرَ أَن يُثمِرَ عِنباً فأَثمَرَ حِصرِماً بَرِّيّاً

د ٣ فالآنَ يا سُكَّانَ أُورَشَليمَ ويا رِجالَ يَهوذا

أُحكموا بَيني وبَينَ كَرْمي

٤أ أَيّ شَيءٍ يُصنَعُ لِلكَرْمِ ولَم أَصنَعْه لِكَرْمي؟

ج ٤ب فما بالِيَ انتَظَرتُ أَن يُثمِرَ عِنَباً فأَثمَرَ حِصرِماً بَرِّيّاً؟

ب ٥ فالآنَ لأُعلِمَنَّكم ما أَصنعُ بِكَرْمي.

٦ أُزيلُ سِياجَه فيَصيرُ مَرعًى وأَهدِمُ جِدارَه فيَصيرُ مَداساً

وأَجعلُهُ بوراً لا يُقضَبُ ولا تُقلعُ أَعشابُه

فيَطلعُ فيه الحَسَكُ والشَّوك

وأُوصِي الغُيومَ أَلا تُمطِرَ عليه مَطَراً.

أ ٧ لأَنَّ كَرمَ رَبِّ القواتِ هو بَيتُ إِسْرائيل

وأُناسُ يَهوذا هم غَرْسُ نَعيمِه

وقدِ انتَظَرَ الحَقَّ فاذا سَفكُ الدِّماء

والبِرَّ فإِذا الصُّراخ.

I- نشيد محبوبي لكرمه

عرض الوضع

II– تطبيق النبي:

الدعوى

الحُكم

الدرس:

الحبيب هو رب القوات

الكرم هو شعبه العاق

مقدّمة

يعطي هذا النص الشعري بطريقة لاهوتية مركّزة، ملامح رسالة أشعيا ومعنى تاريخ اسرائيل، كما اختبرها النبي وكما يفسّرها.

كثرت الشروحات حول هذا النشيد وتعددت، فظن البعض أن "الحبيب" هو بمعنى "العم" المسؤول[1]؛ وأكد البعض بأنه نشيد ينتقد طقوس الخصب الكنعانية، خاصة وأن اشعيا يشجبها في أكثر من مكان[2]، كما فعل هوشع ٤: ١٣، لأنها تسببت بتدهور أخلاق الشعب؛ في حين اعتبر البعض الآخر انه نص يعالج خبرة اشعيا الشخصية، أو أنه يتوجّه الى "الله" صديق النبي. أما آخرون فاعتبروا انه نشيد[3] يحتفل بشرب الخمرة أثناء الأعياد الشعبية " لنأكل ونشرب" (اش ١٦: ١٠؛ ٢٢: ١٣)؛ فيما رأى فيه آخرون نشيد امرأة تنشد لحبيبها، مرتكزين على أن عبارة "الحبيب dAD " لا يرد في كتاب نشيد الأناشيد إلا على لسان الحبيبة. لكن عدد من الشارحين لفتوا النظر الى أن النص لا يتكلم عن شخصين بل عن ثلاثة، بحيث أن صديق الحبيب ليس شخص الحبيب نفسه (يو ٣: ٢٩)، فيكون النبي صلة الوصل بين الله والشعب. لكن الحقيقة هو أن النشيد ليس سوى مثلٍ على مثال الأمثال التي تتكلم فيها الحيوانات والنباتات، والدرس الأخلاقي فيه هو إظهار مشكلة شعب الله العاق. أما الترجوم، فقد قرأ النص كالتالي:

"ورث الشعب الجبل الخصيب، فطرد الله الكنعانيين وبنى هيكلاً في وسط البلاد، ومذبحاً للتكفير عن الخطايا... وللدينونة، وهو الآن سيرفع مسكنه، فيُطردون من بيوتهم ويُحرمون من الأنبياء"

وأكّد بعض المفسّرين أن النشيد هو مثلٌ يعطيه نبي أو حكيم على مثال ما ورد في ٢ صم ١٢ أو ٢ صم ١٤، ويرمي الى إقناع الشعب وإدانته من خلال ظرف معيّن لا يتكرر. إنه نشيد تربوي موجّه للشعب ولمسؤوليه[4].

معنى النص من خلال إطاره

إن إطار النص هو عيد القطاف في الخريف وهو العيد الذي كان يأخذ طابعاً وثنياً في غالب الأحيان بحيث كان المعيّدون ينسون أساسه الديني التاريخي لينجرّوا بسبب الخمر مع شهواتهم. لم يعد الشعب قادراً على رؤية ما يجري حوله بعد أن أعماه الغنى الذي اقتناه دون حق، فلم يعير الفقراء المظلومين انتباهاً، ولم يفطن للحرب القريبة من حدوده.

عُرف هذا النص منذ القديم على أنه اغنية شعبية (١ب-٢) اضاف اليه الكاتب مثلاً (آ ٣-٦) وختمه بخلاصة ودرس يوضح معناه.

تبدو مقدمة النص غامضة نوعاً ما، خاصة مع تكرار ذكر "حبيبي" ydIêydIy و "محبوبي" ydIÞAD ، حيث يعاد الأول في بداية النشيد مما يمكّننا من الاعتبار أننا أمام أغنية معروفة تحت عنوان "نشيد محبوبي لكرمه" سينشدها الكاتب لحبيبه (أي الله)، مع بعض التغييرات. فالنص إذاً مثلٌ سُكِب قسمه الأول في قالب شعري غنائي، كان الناس ينشدونه في

---

[1] راجع لا ٢٥: ٤٩؛ ١ صم ١٠: ١٣-١٦؛ ١٤: ٥٠؛ إر ٣٢: ٧؛ ١ أخ ٢٧: ٣٢

[2] راجع ١: ١٦-١٧؛ ٣: ١٤-١٥؛ ٥٧: ٥

[3] فعل "أنشد" (آ ١) ونجده ٩٠ مرة في العهد القديم، منها ١٢ مرة في الكتب النبوية و٣ منها في عا ٥: ٢٣؛ ٦: ٥؛ ٨: ١٠؛ الذي يعود الى القرن الثامن، ولكن دائماً في إطار تاريخي: يعود النشيد الى مظاهر البذخ التي يدينها عاموس.

[4] عبارة "حبيب" dydy و "محبوب" dAD يذكّر بأسماء داود وسليمان الذي سمّي يديديّا hydydy (٢ صم ١٢: ٢٥)؛ في حين أن الكرمة هي صورة تتكرر عن اسرائيل بصفتها زوجة يهوه.

احتفالاتهم الشعبية، والقسم الثاني تطبيق للأغنية (آ ١-٢) على حالة الله مع شعبه من خلال مثل (آ ٣-٦) قبل أن يعطي الخلاصة والدرس لذي يوضح المعنى (آ ٧).

يبدأ النص بإعلان الكاتب أنه يقدّم لحبيبه أغنية "محبوبي لكرمه"، وفي ذلك دلالة على أن قصة "المحبوب مع كرمه" مطابقة لقصة "حبيب" الكاتب مع كرمه. فمن هو "المحبوب" ومن هو "كرمه"، ومن هو "الحبيب وكرمه"؟

أغنية محبوبي لكرمه/ مَثَلٌ عن كرم حبيبي

تصف الأغنية حالة "محبوب" أُغرم بكرمه فأعطاه كل ما باستطاعته، وانتظر الأفضل فما حصد سوى الأسوأ. أنها حالى كل مغرم محبَط، يغني ألمه ويشكو مشاكله مع حبيبته "الكرم" الذي لم يبادل كرّامه الأمانة والعطاء. انتشر هذا النوع من الأناشيد في كل الأزمنةن وفي كل جهات الأرض، ولا بد انه كان يساهم في إحياء الحفلات والأعياد الشعبية، فيتحوّل المعروم المظلوم الى شخصية يشرب المحتفلون نخبها ويتندّرون بحالتها ويرقصون على أنغام الأغنية التي تصف حالته.

وقد استعمل العهد القديم عبارة " الكرم" و"الجفن" للدلالة على الحبيبة [٥] مما يدعم فكرة أغنية الحب الشعبية.

تتوسع هذه الأغنية بسخاء الكرّام كما تتغنى بنوعية الكرم وجودته:

كانَ لِحَبيبي كَرْمٌ في رابِيَةٍ خَصيبة[٢] وقد قَلَّبَه وحَصَّاه وغَرَسَ فيه أَفضَلَ كَرمِه وبَنى بُرجاً في وَسَطِه وحَفَرَ فيه مَعصَرَةً[٢ب] وانتَظَرَ أَن يُثمِرَ عِنباً فأَثمَرَ حِصرِماً بَرِّيّاً .

فصحيح أن الأرض خصيبة من طبيعتها، لكن الكرّام قد قام بواجبه على أكمل وجه، فقلّب الأرض الخصيبة وحصّاها (جلّلها) فأصبحت قادرة على إعطاء أفضل ما تستطيع، وفي هذه الأرض الطيّبة غرس، ولم يكتفِ بذلك بل حماها كمدينة حصينة لا يدخلها إلا الكرّام الحبيب، وحضّر نفسه لأفضل غلّة منتظرة، بعد أن حفر معصرة. وعند القطاف كانت المفاجأة المخيفة...

كأغنية، يمكن للنص أن ينتهي عند هذا الحد، ليشكّل لازمة تعاد وتطول بحسب الموسيقى المرافقة. لكن الكاتب/ النبي استعملها ليقدّمها مثلاً أمام شعبه الذي يغنّي دون أن يدخل عمق الكلمات، ودون أن يفهم أنها قصته مع من غرسه في هذه الأرض الطيّبة.

ويبدأ نص الأغنية البسيطة: "كرم في رابية خصيبة"... بوصف أحوال الطبيعة المحيطة بالكرم، ثم بعرض عمل الكرّام "المحبوب" الجدّي: قلّب، وحصّى[٦]، ثم غرس[٧] كرم من نوعية رفيعة المستوى qrf[٨]، ثم حماه من كل ما يمكن أن يشكّل

---

[٥] قض ٢١: ٢٠؛ نش ٦: ١١؛ ٧: ٩، ١٣و ١: ٦؛ ٢: ١٥؛ ٧: ١٣؛ ٨: ١١، ١٢).

[٦] نجد فعل lqs "حصّى" ٢٢ مرة في العهد القديم بعضها بمعنى "رجم". أما هنا فمعناه قريب من أش ٦٢: ١٠ حيث المعنى هو بناء حائط. أما فعل "قلّب" فلا نجده سوى هنا في كل العهد القديم.

[٧] يستعمل فعل "غرس" (آ ٢) بعلاقته مع غرس شعب الله في الأرض الموعودة (خر ١٥: ١٧؛ ٢ صم ٧: ١٠؛ ٢ أخ ١٧: ٩؛ مز ٤٤: ٣؛ ٨٠: ٩؛ إر ١١: ١٧؛ ١٢: ٢).

[٨] راجع إر ٢: ٢١؛ زك ١: ٨؛ أش ١٦: ٨

له خطراً(بنى برجاً)، وتحضّر للإستفادة من ثماره (حفر[9] معصرة)[10] ، ولكن للأسف لم تكن النتائج على قدر الانتظار: "انتظر ... عنباً []"ybiÞn~ فأثمر حصرماً برّياً .auB) yvi~" !

هنا ينتهي النبي من إنشاد الأغنية التي انتقاها كمقدّمة لما يريد عرضه، فيعطي الكلام للكرّام "الحبيب"، ويضعه في موقف الباحث عن حُكم عادل بحسب ما تقتضيه الشرائع والعادات.

المثل هو كلمة الله

ليس المثل قصة بريئة، انه كلمة قوية فاعلة. هو وسيلة بدونها لكان من المستحيل كشف الحقيقة للآخر، وبدونها لكان الآخر غير قادر على اكتشاف حقيقة نفسه بنفسه.

النص الأقرب للمثل الذي ندرسه هو المثل الذي أعطاه ناتان النبي لداود الملك بقصد حثّ هذا الأخير علىاكتشاف حقيقته الخاصة والحكم عليها.

نقرأ في ٢ صم ١٢: ١-١٢ قصة النبي ناتان الذي أتى الى الملك داود يخبره قصة رجل غني سرق النعجة الوحيدة التي يقتنيها فقير (آ ١-٤، رج أش ٥: ١-٢)، مما يستدعي غضب الملك ويقوده الى إصدار الحكم بالموت على هذا الرجل الظالم (آ ٥-٦، رج أش ٥: ٣-٦). عندها يعلن النبي : "أنت هو الرجل" (آ ٧؛ رج أش ٥: ٧)، ثم يشرح لداود معنى المثل (آ ٧-١٢).

فداود كما نعلم لم يكتفِ باستمالة بتشابع المرأة الجميلة (٢ صم ١١: ١-٥)، بل حاول تحميل زوجها أوري الحثي مسؤولية حملها (٢ صم ١١: ٦-١٣)، وعندما فشل بذلك دبّر له الموت (٢ صم ١١: ١٤-٢٥) وتزوّجها. عندها... أرسل الله ناتان النبي الى داود، فدخل اليه وقال له...

المثل في هذا النص هو كلمة الله. يتكلم عن أشخاص غير محددين (غني وفقير) مما يساهم في إغفال هوية المقصود من وراء المثل. اختفت شخصية المقصود في مثل ناتان حتى أن داود لم يشعر بأي حال من الأحوال أنه هو المقصود. وقد أُغفلت هوية الرخلة أيضاً بحيث صار من المستحيل أن نحزر انها رمز للمرأة. فكيف للملك أن يستشعر الحيلة التي قام بها النبي؟

تكمن كل استراتيجية النبي في عدم توجيه الضربة مباشرة، بل بتقدّم حالة من بيده الحكم. لم يطلب النبي شيئاً، بل اكتفى بنقل خبر دون سؤال عن أي حكم فالحكم متروك للسامع/ القاريء.

وبالعودة الى نص أش ٥: ١-٧، يضع الكرّام "الحبيب" أهل أورشليم ويهوذا في موضع الشهود، قبل إعلانه للحكم، مظهراً أن كلامه أبعد من أن يكون خبراً زراعياً عادياً، أو نشيداً فولكلورياً راقصاً. فبإصداره الحكم، سيحكم ابن اورشليم على ذاته، تماماً كما فعل داود أمام المثل الذي عرضه أمامه ناتان النبي ٢ صم ١٢: ٥-٦.

---

[9] نجد فعل حفر ٢٥ مرة في الكتاب المقدس (رج أش ٢٢: ١٦؛ هو ٦: ٥).

[10] راجع ١٦: ١٠؛ إر ٤٨: ٣٣.

في نص أشعيا، كما في نص ٢ صم ١٢، يكمن معنى النص في الدعوى التي يقيمها الرب على شعبه/كرمه والتي ستؤول الى الحكم عليه بالموت. استعمل الكاتب الأغنية كمقدمة (آ ١ب-٢)، يعرض فيها حالة الكرم والكرّام، ثم انتقل الى استدعاء سكان اورشليم ورجال يهوذا، كشاهدين تتطلّبهما صحة الدعوى بحسب الشريعة (آ٣). أمامهما استعرضت القصة والدعوى، وتم استجوابهما (آ٤). من هذه الأغنية/ المقدمة، انتقل الكاتب الى إعلان جرم الكرم (آ ٤ب-٧) والحكم بالموت (آ ٥-٦)

٢ صم ١٢: ١-١٢	**أش ٥: ١-٧**
خبر : : أ ١-٤	خبر : : أ ١-٢
دعوى – حكم : أ ٥-٦	دعوى – حكم : أ ٣-٦
خاتمة: : آ ٧	خاتمة: : آ ٧

قبل إصدار الحكم يلخّص الكرام الاتهام كما لو كان مدّعياً عاماً. ولكن، ودون انتظار الجواب البديهي، نراه يصدر حكمه: إزالة الكرم نهائياً. فبهدم سياجه يصبح هذا الكرم مباحاً ومداساً[١١]، فتكون النتيجة عودة الكرم الى حال الهشيم والشوك والعوسج؛ لا بل يتحوّل الى صحراء قاحلة بسبب عدم سقوط المطر.

هنا تتضح الصورة بشل كامل. فأي كرّام يستطيع منع سقوط المطر؟ إن الكرام "الحبيب" هو الله، وهو ما تؤكّده الآية ٧ التي تحدد كل المقصود: كل هذا يختص بأورشليم ويهوذا المذكورين بطريقة متوازية:

بيت إسرائيل أناس يهوذا

كرم الرب غرس نعيمه

لقد حكم الله على كرمه اسرائيل. أقام دعوى قانونية أدت الى موت شعبه[١٢].

أما أسباب الحكم فواضحة في الآية ٢ب③٤ "انتظر – انتظرت... ف..." هنا أيضاً بطريقة متوازية:

بدل الحق hq'd'c[١٣] حصل على سفك الدماء [١٤]c'] 'hq'.

من وراء شخصيات المثل ؟

[١١] نجد عبارة مداساً في أماكن عديدة من العهد القديم رج. أش ٧: ٢٥؛ ٢٨: ١٨؛ مي ٧: ١٠؛ أش ١٠: ٦؛ حز ٣٤: ١٩؛ دا ٨: ١٣.

[١٢] نجد في النص كل العناصر التي تفرضها الشريعة لصحة أي دعوى: شاهدان (آ٣)؛ تذكير بما قام به الله لشعبه(ا ب، ٢، ٤ أ)؛ استجواب (آ ٤ ب)؛ ثم إعلان الذنب (آ ٢ بن ٧ب).

[١٣] تترافق عبارتا الحق/ البر في أكثر من مكان في العهد القديم. رج. عا ٥: ٧، ٢٤؛ ٦: ١٢؛ رج أش ١: ٢٧؛ ٥: ١٦؛ ٩: ٦أ؛ ٢٨: ١٧أ؛ ٣٢: ١٦؛ ٣٣: ٥.

[١٤] لا نقرأ عبارة "سفك الدماء" في الكتاب المقدس سوى هنا. أما عبارة "الصراخ" فنجدها في خر ٣: ٩؛ إر ٢٥: ٣٦؛ ٤٨: ٥؛ ٤٩: ٢١؛ صف ١: ١٠.

في مقابل الشعب، يقف النبي، وكأنه لجهة الشعب يشاركه فرحته، فينشد نشيد الحبيب الذي الذي لم تبادله زوجته حبه الكبير، داعياً الجميع الى شرب نخب هذا المغروم المسكين، قبل أن يكشف هدفه الحقيقي.

ووراء شخصية الحبيب المحبط، يختبيء الله، الذي التزم بمغامرة يمكن ألاّ تنجح. من خلال هذا النشيد، يشعر الناس أن الله ليس شخصية بعيدة، بل شخص يحيا قصّتهم، وانهم ليسوا مجرّد مشاهدين، بل مشاركين، ومتّهمين ومدعووين لاكتشاف هويتهم الحقيقية. هذا ما حصل مع ناتان، الذي طرح أمام داود الزاني مثل الرخلة، فاكتشف حقيقته من خلالها (٢ صم ١٢) "أنت هو الرجل". لكن قبل ذلك كان المتهم قد أصدر الحكم بنفسه. تستّر الله وراء شخصية الحبيب، لأنه فعلياً إله الحب ولأن كل تاريخ شعبه هو قصة حب.

ولكن إن كان الله والشعب هما الشخصيتان الأساسيتان فإن دور النبي يبقى أوّلياً. فهو ليس مجرّد ناطق باسم الله، بل يظهر انه صديق الله، هو من يدخل في حميمية الله وأسراره. يتفق الله والنبي، فلا يتصرّف الله دون كشف مشروعه لأنبيائه (عا ٣: ٣، ٧). فإبراهيم هو "الخليل" bhea (أش ٤١: ٨؛ ٢ أخ ٢٠: ٧)، وبنيامين هو الحبيب "dydIy (تث ٣٣: ١٢) وهذه الصفات يمكن أن تكون صفات كل الأنبياء الذين دخلوا مع الله في علاقة قرابة ومحبة، يشاركونه فيها فرحه بشعبه وألمه بسببه. يظهر هذا الألم في نص أشعيا الشعري من خلال عبارة "لماذا؟" (آ ٤)، وهي تعبير عن حالة من لا يفهم وليس عن إصدار الحكم، وكأن النبي يريد وضع الشعب أمام مسؤولياته، فيقودهم الى التوبة قبل الحكم الأخير... لكن ما يتبع ابتداء من آ ٨ لا يساعد على ترك الباب مفتوحاً أمام امكانية توبة قساة القلوب. يلتزم النبي إذاً قضية شعبه من جهة، وقضية الله من جهة أخرى، فينقل كلمة الله للشعب، ويمثّل الشعب ويساعده بكلامه ورمزية حركاته وتشفّعه ليبقى أميناً لدعوته.

الكرم والكرمة في كتاب أشعيا[١٥]

هذا النص مثل فريد في كتاب أشعيا، لكن صورة الكرمة تعود للظهور في رؤيا أشعيا ٢٧: ٢-٥.

٢ في ذلك اليَوم غَنُّوا لَها لِلكَرمَةِ اللَّذيذَةَ. ٣ أَنا الرَّبُّ حارِسُها في كُلِّ لَحظَةٍ أَسْقيها ولِئلاَّ يُساءَ إِلَيها أَحرُسُها لَيلاً ونَهاراً. ٤ لا غَضَبَ فِيَّ فمَن قاوَمَني بِالحَسَكِ والشَّوك أَهجُمُ عَلَيهما بِالقِتالِ وأُحرِقُهما جَميعاً. ٥ وإِلاَّ فلِيَتَمَسَّكْ بِمَلجَإِي ولِيَعمَلْ مَعي سِلْماً، ولْيُسالِمْني.

هنا أيضاً الكرمة هي صورة لشعب الله، ولكنها بمنأى عن غضبه (٢٧: ٤)، فلا يطالها الحكم بل ينصبّ على أعدائها، وكأن الكاتب الأخير لسفر أشعيا أراد، من خلال قراءة ثانية للنشيد، أن يصحح قراءة المعنى الأول، لكنه احتفظ بالقراءة

[١٥] نجد صورة الكرم بشكل كبير في الكتاب المقدس، خاصة عند إرميا الذي يجعل منها رمزاً للحكم على اسرائيل (إر ٢: ٢١؛ ٥: ١٠؛ ٨: ١٣؛ ١٢: ١٠-١١). لكن هذه الصورة لم تظهر في الأدب النبوي قبل إرميا إلا مع هو ١٠: ١-٢. الكرم في أش ٣: ١٤ "الرب يدعو الى القضاء شيوخ شعبه وحكامهم، فيقول "أنتم الذين نهبتم الكروم وسلبتم المساكين وملأتم بيوتكم" فيظهر الشعب ضحية المسؤولين الذين سحقوه (مز ٨٠: ٩-١٧؛ رج أش ٢٧: ٢-٥؛ حز ١٥: ١-٨؛ ١٧: ٥-١٩؛ ١٩: ١٠-١٤).

الأولى كتحذير دائم للشعب العاق. ونقرأ في ٢٨: ٢٣-٢٩ مثلُ شبيه لنص أش ٥: ١-٧ وإن بأسلوب مختلف[١٦]. انه نشيد ألم يعرض محبة الله لشعبه وعدم مبادلة الشعب لهذا الحب (رج ١ : ٢-٥).

صحيح أن هذه القصة هي قصة كل الأزمنة، لكن في مكان النص في بدء الكتاب من جهة، وفي مشابهته لأناشيد أخرى، وفي تشديده على الألم أمام الشعب العاق، كما في إعلان الحكم، علامة على إمكانية إعادة النص الى بداية رسالة النبي أشعيا[١٧].

موضوع الكرمة خارج كتاب أشعيا

يظهر من خلال موضوع الكرمة خصائص ثلاثة لعمل الله تجاه شعبه: يزرع ويبني ويتزوج. افتقد الله الأرض فأصبحت أرضاً مثالية "تفيض لبناً وعسلاً" (عا ٩: ١٣)، هذه الصورة الأخيرية هي عودة الى النعيم الأول أيام الخطبة (إر ٢: ٢؛ هو ٩: ١٠). لكن بين البدء والنهاية، تلتزم الكرمة بالتاريخ في كل أحواله وظروفه الصعبة والمجيدة. يمكن أن تجتاح هذه الكرمة الأشواك والعوسج فتمنعها من الثمر. انها مهددة من أعداء الخارج الذين يدمّرونها (مز ٨٠: ٩)؛ ومن أعداء الداخل وخاصة من حرّاسها الأشرار الذين يخرّبونها.

من دون ثمر، لا يبقى من الكرمة سوى الحطب، هذا ما يعود اليه حزقيال مرات ثلاث في معرض كلامه عن تاريخه المعاصر وعن ملوكه (١٧ و ١٩)، ليؤكد بأنها لا يصلح إلا للحريق (١٥: ١-٨).

إن فحوى مثل الكرمة الدائم هو أن الشعب لا يمكن أن يحيا إلا من محبة الله نبع الحياة وملؤها، فإن بقي هذا الحب دون جواب من قبل الشعب، فإن ذلك يعني التصحّر والموت.

الكرمة في العهد الجديد

يذكر الإزائيون مثل الكرّامين (مت ٢١: ٣٣ت؛ مر ١٢: ١ت؛ لو ٢٠: ٩) في عودة واضحة الى أش ٥، فتكلموا عن "كرم" avmpelw,n وليس عن "كرمة avmpeloj .

كما في العهد القديم، يأتي المثل في إطار من الجدال، وبالأسلوب عينه، يشدد الكتّاب الملهمون على اعتناء الكرّام بكرمه. ولكن وإن كان يسوع قد استعمل هذا المثل، بحيث يذكره مت ٢١: ٣٣ حرفياً : «*إِسْمَعوا مَثَلاً آخَرَ: غَرَسَ رَجُلٌ كرمًا،*

---

[١٦] أش ٢٨: ٢٣-٢٩ " [٢٣] أَصْغوا وآسمَعوا صَوتي إنتَبِهوا وآسمَعوا قَولي. [٢٤] أَكُلَّ يَومٍ يَحرُثُ الحارِثُ لِيَزرَع ويَنقُبُ ويُمَشِّطُ أَرضَه؟ [٢٥] إِلَيسَ إذا سوّى وَجهَها يَبذُرُ الشُّونيزَ ويذُرُّ الكَمُّون ويُلْقي الحِنطَةَ والدُّخنَ والشَّعير في مكانٍ مُحَدَّدٍ والعَلَسَ في طَرَفِه؟ [٢٦] إِلهُه عَلَّمَه هذه الطَّريقة ولَقنه إِيَّاها. [٢٧] فالشُّونيزُ لا يُدرَسُ بِالنَّورَج ولا تُدارُ بَكَرةُ العَجَلَةِ على الكَمُّون بل بِالعَصا يُخبَط والكَمُّونُ بِالقَضيب. [٢٨] تُضرَبُ الحِنطَةُ ولكِن لا تُداسُ دَوساً ويُجَرَّكُ علَيها دَولابُ العَجَلةِ بِخَيلِها ولا تسحَق. [٢٩] هذا أَيضاً خَرَجَ مِن عِندِ رَبِّ القُوَّات وهو عَجيبُ المشورَةِ عَظيمُ المهارة".

[١٧] اعتبر بعض المفسّرون أن مثل هذه الدلائل تدل على علاقة النص مع كتاب إرميا ونصوص نهاية الفترة الملكية وزمن السبي. وكأن هذا النشيد ليس من أساس الكتاب، بل إضافة تعود الى المدرسة الاشتراعية أثناء فترة السبي. من هنا الهمّ الدفاعي في آ ٤، في حين تدلّ الصور القاسية في آ ٥-٦ على مصير اورشليم امام قوات نبوخذنصر.

فسَيَّجَهُ وحفَرَ فيهِ مَعْصَرَةً وبَنى بُرجًا..."، فإنه قد توسّع فيه وأعطاه معنى خاصاً. فمن خلال هذه التفاصيل، نرى أن يسوع يشدد في المثل على موقف الكرّامين، وعلى شخص الابن، بحيث لا يمكن اعتبار نص الأناجيل مدراشاً لنص أشعيا، بل ربما كان تفسيراً إيجابياً له.

أما مثل الكرمة في يو ١٥: ١-٢ حيث يؤكد يسوع بأنه الكرمة الحق، وبأن أبيه هو الكرّام، مستعيداً بذلك موضوع العهد بين الله وشعبه، فيبدو أن الكاتب استوحى من نص أش ٥: ١-٧ بدايته، لكن الشبه يبقى بعيداً جداً. وفي كل الأحوال يمكن التأكيد بأن القربى بين العهد الجديد ونص أشعيا، لا يكمن في مت ٢١: ٣٣ ولا في يو ١٥ بل في مثل التينة العقيمة (مت ٢١: ١٨- ٢٢؛ رج لو ١٣: ٦-٩) مع أن مثل التينة يشجب عقم الشجرة، في حين يشدد نشيد أشعيا على عقوقها.

خلاصة

كل مثل يهدف الى ايصال السامع الى إصدار حكم ما، وهذا ما فعله داود بعد أن ثار وغضب أمام قصة النبي ناتان. فالمثل ليس نصاً فلسفياً علمياً، بل خبراً يطال أعماق الانسان في عاطفته فيؤثر به وبغيره. عندما يصدر الحكم المبرم يكشّف النبي قصده فلا يبقى على الخاطيء سوى الإقرار بذنبه بعد أن يتماهى مع شخصية المثل الرئيسية. هكذا يبدو المثل كأنه سيف كلمة الله ذو الحدين، هذه الكلمة التي تفصل الخير عن الشر فتقطع المرض حامل الموت من الجسم.

صحيح أن نشيد أش ٥: ١-٧ يتغنى بقصة كرّام يدّعي على كرمه، لأنه لم يعطِ الثمر الذي كان يرجوه منه، بل أثمر ما يثير الإشمئزاز والقرف، ويدعو سكان اورشليم للبتّ في النزاع ولإصدار الحكم. لكن النبي يكشف معنى المثل بشكل واضح، فالكرم صورة لإسرائيل الخاطيء الذي يقيم الله دعوى ضده، لأنه انتظر البر فإذا سفك الدماء، والحق فإذا الصراخ (آ ٧). لقد وقّع الشعب بنفسه حكمه على ذاته بالموت. فعلى مثال الكرم الذي يتركه مالكه مباحاً أمام الحيوانات والأشواك والجفاف، سيُترك هذا الشعب للخراب. ومن له أذنان تسمعان... فليسمع! أو فليكمل قراءة الكتاب.